

بقلم : دونالد و . ماكافرى

لقد توفى أخيراً واحد من أعظم الممثلين الكوميديين الذين شهدتهم الشاشة الصامتة ، وهو شارلى شابلن . وتوفى هارولد لويد فى عام ١٩٧١ وباستركيتون فى عام ١٩٦٦ وهارى لانجدون فى عام ١٩٤٤ ، وفى حين أن نوعية أفلامهم قد ضعفت فى الثلاثينيات ، إلا أنهم خلفوا لنا تراثاً لا يقدر بثمن من الأفلام الكوميدية القصيرة والطويلة فى العشرينيات .

ولقد تجدد فى العشرة الأعوام المنصرمة الاهتمام بالشاشة الصامتة ، وحدث ذلك نتيجة للنظرة المتجددة إلى أفلام الماضى فى المراكز الثقافية فى جميع أنحاء العالم ولأن أفلام كوميديى ومخرجى اليوم الذين أحبوا المهنة حبا جما ، قد عمدوا إلى التقليد . وأعتقد أن أبرز عمل فى هذا الحقل قد حققه ممثلو الكوميديا الفرنسيون مثل جاك تافى فى فيلم « عطله مسيو هولوى » وفيلم « عمى » ، والممثل الكوميدي بيير ايناتس فى فيلمه « الخاطب واليوى » . لم يكتف الكوميديون الفرنسيون بتقليد كوميديا الأفلام الصامتة وإنما أحيوا التكنيك القديم الخاص بالبانتوميم والحركات الروتينية وكيفوها كل حسب مميزات الكوميدية الخاصة . وهناك بعض الكوميديين الذين استعانوا إلى حد ما بالتراث



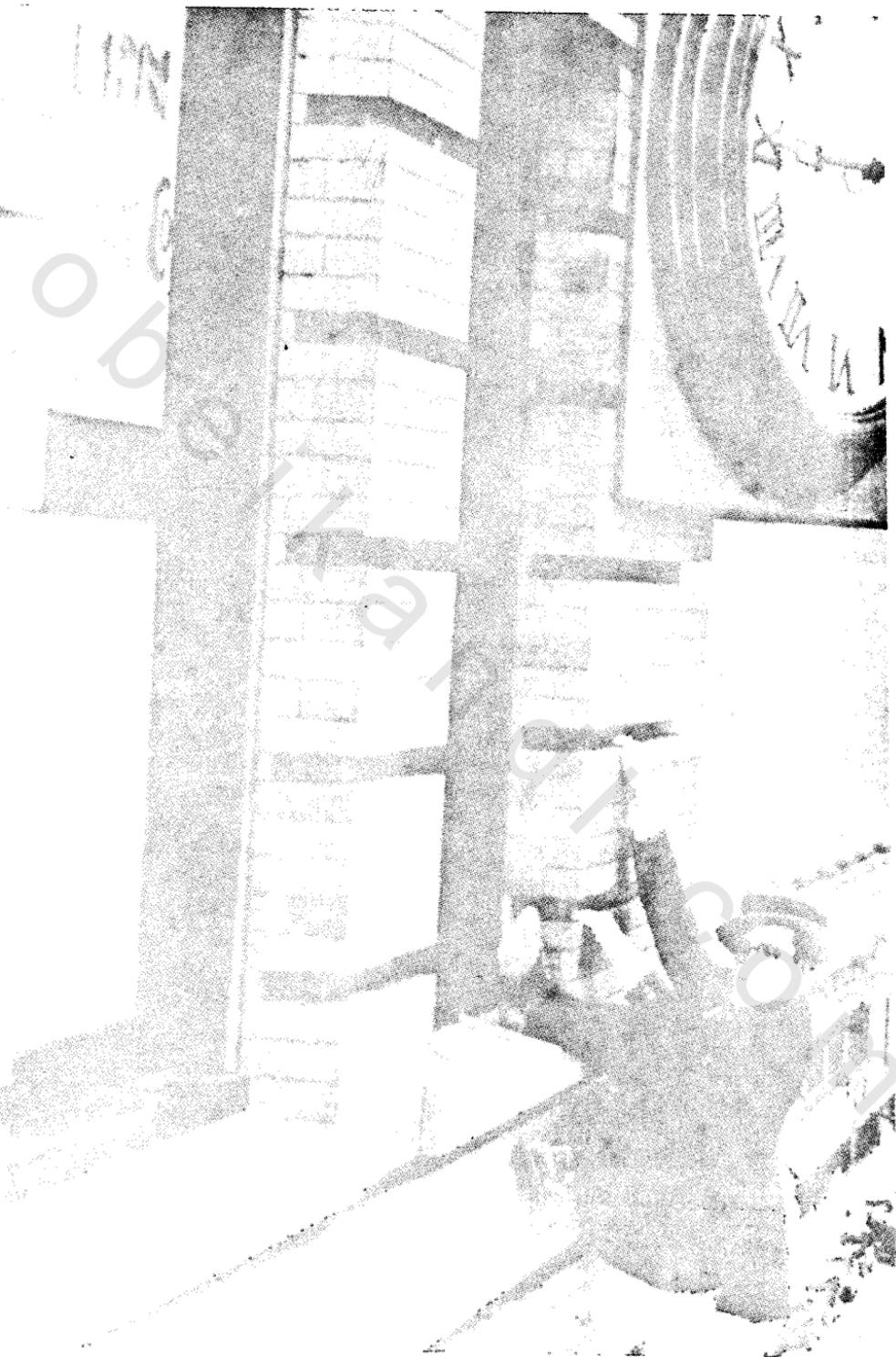
١ - شارلى شابلىن فى دور المغفل وهو يبحث عن « خلة » لتنظيف أسنانه فى فيلم « المتشرد » - ١٩١٦ .
(المصدر : متحف الفن الحديث) .



٢- لا شيء يمكن أن يغير تعبيرات ملامح وجه باستر كيتون .

(المصدر : متحف الفن الحديث)

٣ - ٤ - لقد امتازت
حركات هارولد لويد
الكوميديّة في مواقفه العمليّة
التي تستهدف خلق جو من
الإثارة عند المشاهدين .
(المصدر : متحف الفن
الحديث)





٥- « الولد الصغير » من تمثيل هارى لونجودون الذى دخل ميدان الكوميديا فى ظروف متباينة .
(المصدر : متحف الفن الحديث)

الكوميدي الماضي ، ومن هؤلاء الممثلين « نورمان ويزودوم » و « بيتر سيلرز » ، الممثلان الكوميديان البريطانيان ، وهايتزر وهان الممثل الألماني ورد سكيلتون وداني كاي وجيرى لوى ، الممثلون الكوميديون الأمريكيون .

وقد عمد المتجون والمخرجون في الولايات المتحدة وإنجلترا إلى إنتاج أفلام تعيد الذاكرة إلى أفلام الشاشة الصامتة ، إن الأفلام الكوميدي الروائية مثل فيلم « إنه عالم مجنون ، مجنون ، مجنون » وفيلم « هؤلاء الرجال العظام وآلاتهم الطائرة » وفيلم « السباق العظيم » قد بذلت فيها جهود جبارة لإحياء الكوميديا القديمة . واستخدمت في هذه الأفلام السباقات والمطاردات والمشاجرات الهزلية . على أن فنا أكثر تقدماً لأفلام الشاشة الصامتة قد ظهر في العشرينيات وطوره ممثلون كوميديون مثل شابلن ولويد وكيوتون ولانجدون . أما في الولايات المتحدة فقد جددوا في هذا الفن وأدخلوا عليه لمحات وخصائص دفعت بالفيلم الكوميدي حتى أوصلته إلى مستوى الفن العالمى . وكان أكثر الممثلين الكوميديين القدماء المحبيين إلى الجماهير هو « شارلى شابلن » الذى كان أول ممثل كوميدي يكسب إعجاب جمهور السينما ، ووضع النقاد فى أسمى مرتبة فنية .

كان شارلى شابلن ملك البانتوم ومهراً فى الحركات الأكروباتية واللمحات الذكية التى تظهر النواحي التكنيكية التى تعلمها وحذقها فى قاعات لندن الموسيقية . وحدث أثناء جولة قامت بها فرقة فرد كارنو الموسيقية فى عام ١٩١٣ فى الولايات المتحدة اشترك فيها شارلى شابلن ، وكانت تعرض « ليلة فى قاعة موسيقية إنجليزية » ، وقد استأجرها ماك سينيت شابلن للعمل معه مقابل ١٥٠ دولاراً فى الأسبوع . وسرعان ما التحق بفرقة أستوديو بوكستون حيث كان يتم إعداد أفلام ذات بكرة وبكرتين . وقد ظهر شابلن فى ٣٥ فيلماً قصيراً فى عام واحد ، (١٩١٤) . وفى خلال هذه السنة الواحدة أصبح شابلن منتجاً ومؤلفاً وممثلاً أولاً لكوميدياته ، وقد أصاب شابلن نجاحاً

في هذا الحفل يثير الدهشة . في حين أن شارلى شابلن كان ناجحاً نسبياً على المسرح البريطاني ، فإن الصور المتحركة - حتى في فترة تكوينها - كان توزيعها وإنتاجها كافيين ليجعلا منه نجماً عالمياً ، وأدى ذلك إلى ظهور وتطور أعظم ممثل كوميدى فى القرن العشرين .

ولو أن شابلن قد قصر حياته الفنية على الأفلام القصيرة فى المدة من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩٢٠ ، لكان بذلك وحده قد ترك أثراً قوياً على الفيلم الكوميدى . فثلاً تعتبر كثير من الأفلام ذات البكرتين التى ظهرت من عام ١٩١٦ حتى نهاية عام ١٩١٧ ، أفلاماً كوميدية رائعة . وفى أحد هذه الأفلام وهو فيلم « أ.م. » ، مثل وحده « سولو » دور رجل مغمور عائد إلى البيت بعد قضاء سهرة فى المدينة . وفى هذا الموقف الأساسى الوحيد الذى يشبه الموقف الذى مثله على المسرح ، تعمل جميع الأشياء فى منزله - السجاد والحيوانات المحنطة والسلم وساعة الحائط والسرير القابل للتطبيق - ضده . ونظراً لنشوته ، فإنه يسير هنا وهناك ويقع على الأرض ثم يرتطم بالأشياء التى تعترضه ، وقد جرى فى هذا الفيلم أكثر من ٢٥ سقطة وعثرة هزلية . ومن أفلامه القصيرة المتممة أيضاً فيلم « الشارع اليسير » ، وهو فيلم كوميدى يظهر شارلى إلى جانب القانون ، فهو ينضم إلى القوة البوليسية بعد أن يتم إصلاحه على يد فتاة جميلة أثناء اجتماع دينى . وبعد ذلك يقرر أنه من الأفضل له أن يتزل إلى ميدان العمل ويعمل ويحبل حياته إلى نجاح . إن هذا الممثل استطاع فى فيلم واحد أن يظهر مهارته وموهبة الإبداع والخلق عنده ، وقد استطاع شارلى شابلن أن يتنزع ضحكاته من الجمهور فى فيلم دى بكرتين أكثر من أى ممثل كوميدى آخر . ولقد أخبرنى هارولد لويد فى حديث أجرته معه فى شهر يونيو من عام ١٩٦٥ أن سلسلة القفشات والحركات الهزلية التى كان يلجأ إليها شابلن للإضحك قد حملته فى الأيام الأولى من السينما الصامتة على أن ينتهج نفس هذا الأسلوب ، وإلا فإنه كان سيتعرض للخسارة . ولقد اعتاد معظم الكوميديين على

تقديم عدد قليل من النكات الجيدة في فيلم واحد ، إلا أنهم ما لبثوا أن شعروا بأن خيالهم بالنسبة لتصوير مشهد هزلى قد نضب معينه . على أن لويد وكيون استطاعا أن ينافسا شابلىن في مهارته هذه وظلا يتبعان هذا الأسلوب الفنى حتى ظهور أفلامها الروائية في العشرينيات :

لقد أنتج شابلىن ثلاثة أفلام رائعة وهى « الغلام » و « حمى الذهب » و « السيرك العظيم » ، فى العصر الذهبى لكوميديا الشاشة الصامتة . إن الذى ميز أعماله فى العشرينيات هو قدرته على استخدام العواطف فى أفلامه الدرامية . وتعدى الجانب الجاد من دوره فى فيلم « المتشرد » إلى حد أن بعض النقاد وصفوا هذا الجانب بأنه « حنان وشجن » شابلىن ، ومعنى هذا أن المشاهدين لم يضحكوا على الرجل الصغير القامة فحسب ، وإنما شعروا بالأسى من أجله . لقد لاحظ معظم النظريين - الأدباء منهم والفلاسفة - عكس ما يظنه بعض الناس ، أن التراجيدية والكوميديا لا توجدان متفرقتين أو متفرعتين ، وإنما يمكن أن يكون ثمة ارتباط بينهما . لقد كان شابلىن أكثر من غيره من الكوميديين السينائيين قدرة على استدرار الدمع والاستضحك . وكانت هاتان القدرتان أحياناً متصلان .. إننا نستطيع أن نلاحظ هذا الاتصال فى فيلم « الغلام » أثناء كفاح هذا المنبوذ الاجتماعى الصغير لإنقاذ طفل فى الخامسة من العمر الذى رباه منذ أن كان رضيعاً ، حينما كانت السلطات تنقل الطفل إلى دار للأيتام . إننا نضحك على الطريقة غير العادية التى يقاتل فيها السلطات ، ثم لا يلبث أن تتحول مشاعرنا حينما يتحول شارلى فى لحظة عن الشجار ويعاتق الطفل الذى أنقذه بصفة مؤقتة .

وفى فيلم « حمى الذهب » ، نرى المتشرد الصغير يراقص سيدة شابة سرعان ما يقع فى حبائل حباها ، ولكنه يشعر بمذلة شديدة حينما يبدأ سروره « بنطلونه » يسقط شيئاً فشيئاً أثناء الرقص ، ثم يلتقط ما يظن أنه حبل منفصل ويلفه حول وسطه كحزام ، ولكن لسوء الحظ كان كلبٌ ضخماً مربوطاً بالطرف الآخر للحبل .. ولا نلبث نحن أن

نستغرق في الضحك حينما نرى الرجل الصغير يسقط على الأرض بعد أن شده الكلب من قدميه وأخذ يجره . ولكن مع أننا نضحك ، إلا أننا نشعر بالأسى أيضاً للرجل الصغير .

صحيح أن استخدام شابلن لما يصفه بعض النقاد بالعنصر المثير للشفقة يبدو أحياناً وكأنه قد عفا عليه الزمن ولم يعد صالحاً للذوق اليوم ، أو أنه مفرط في شاعريته وعاطفيته ، على أننا نعيش اليوم في عصر لا يجذب الشاعرية ، وأن أى جهد للتركيز على العواطف والمشاعر لاستدرار دمعة يكون عملاً مشبوهاً ، إنني أعتقد أن عمل شابلن لن يشيخ حتى ولو أن الذوق في المهزل يتغير مع الزمن . وفي حين أن بعض أجزاء أفلامه قد لا تعجب أذواق العصر ، إلا أن الأجزاء الأخرى تتفق مع ذوق العصر .

ولعل الخطأ في أفلام شابلن الواضح هو التصميم التركيبي . إن فيلم « حسمى الذهب » فيه فكرة كوميدية قوية تساعد على دفع بعض العناصر الاستطردادية نحو تأثير شامل موحد ، ولكن كثيراً من أعماله تبدو أنها غير متجانسة في التركيب . على أن هارولد بويد وباستركيتون أقدر على وضع قصص « محبوكة » بدقة متناهية . ولقد طالما تغاضى النقاد عن هذا الضعف عند شابلن ، ولكنه جزء هام للعملية الخلاقة في إنتاج الروائع الكوميدية .

ومع أن النقاد قد تغاضوا عن بعض أخطاء هذا الكوميدي ، فإن إشاراتهم بإبداعه الكوميدي وتمثيله صادرة عن شعور صادق . لقد كان شابلن عملاقاً في الحركات العادية والبانوميم الأوروباني والأعمال الروتينية البسيطة التي تتطلب حركات يد طفيفة وتعبيرات الوجه .. ولقد استطاع أن يجعل من تدخين سيجارة وعدة النقود عملاً مضحكاً للغاية . لقد كانت أعماله وحركاته مبنية على أساس الأطوار الغربية لهذا المتشرد الصغير . وكان اختراعه وإبداعه الكوميدي ينبثق من طريقته غير العادية التي واجه بها العالم سواء كان هذا الخلق بمثابة صراع مع ثور أو وضع زبد على قطعة من الكعك

وبالإضافة إلى ذلك ، كان شابن يتمتع بقدره هائلة على التمثيل لم يتمتع بها غيره من كبار ممثل الكوميديا ، وكان على ما يبدو يؤمن بشخصيته كمتشرد صغير ويصبح جزءاً من هذا العالم الغريب الذى خلقه من أجل شخصيته التى كان يعتقد كل واحد أنها ليست لممثل يؤدى دوراً هزلياً . لقد أصبح مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً جداً بهذا الدور حتى أن كثيراً من النقاد وكثيراً من معجبيه أوصيوا بنجية أمل من شخصيته الهزلية المتقدمة ، وهى « هنرى فيردو » فى الفيلم الذى مثله فى عام ١٩٤٧ وعنوانه « مسيو فيردو » .

لقد كانت شهرة شابن فى الثلاثينيات كبيرة جداً حتى أنه كان ينتج فيلمين كوميديين على الشاشة الصامتة . وفى فيلمه الذى ظهر فى عام ١٩٣١ وهو فيلم « أضواء المدينة » مستخدماً موسيقى مسجلة وبعض المؤثرات الصوتية ، أنتج شابن فيلماً آخر من روائعه فى الوقت الذى اتجهت كل صناعة السينما إلى الشاشة الناطقة . لم يعترض أحد إذ ذاك على غياب الصوت البشرى ، وحقق الفيلم ربحاً قدره خمسة ملايين من الدولارات ، لقد كان الفيلم أقوى قصة عاطفية عالجهما شابن ، فقد كانت تتركز على حب الرجل الصغير لفتاة ضريرة ، وهو موضوع استخدمه هارى لانجودون فى فيلم « الرجل القوى » ، فى عام ١٩٢٦ . وفى حين أن معالجة شابن لمثل هذا الموضوع المدر للدموع قد أساءت للبعض ، كما شعر جورج جان ناتان ، الناقد المسرحى فى عام ١٩٣١ ، إلا أننى أعتقد أن هذا الكوميدي قد أخرج ومثل هذا الجزء من الفيلم ، الذى يعتبر أخطر جزء فيه ، متوخياً ضبط النفس والذوق السليم . إن اللحظات الأخيرة فى الفيلم (وهى غالباً ما أشاد بها النقاد) تبين تهدة للعواطف والمشاعر ، فالفتاة الضريرة تسترد بصرها لأن الرجل المتشرد الصغير قدم لها المال اللازم للعملية الجراحية . وبعد أن رآته ، لم تتحقق منه إلا بعد أن لمست يده . إنه ليس الرجل الذى كانت تتخيله ، وهنا تتحطم صورة رومانسية ، ويترك الموقف معلقاً ، ولكننا نعرف أنه لن تكون هناك قصة حب . إن هذه اللحظات الأخيرة فى الفيلم تستخدم حواراً بسيطاً ونهاية مؤثرة .

ويتجنب شابلىن الإفراط فى الدراما العاطفية بواسطة الاختيار الدقيق وتوخى البساطة .
ويواصل شابلىن تحديه لعصر السينما الناطقة ، ويقدم فى عام ١٩٣٦ على إنتاج
فيلمه « العصر الحديث » ، ومع تقديمه بعض التنازلات للشاشة الناطقة التى كانت
بلغت من العمر سبعة أعوام وصادفت قبولاً من الجميع باستثناء شابلىن ، لقد استخدم
الصوت البشرى فى دائرة مغلقة لنظام تليفزيونى . واستخدم أيضاً جهاز راديو
وجرامافون ، وبالإضافة إلى أهم تنازل قدمه وهو أن الكوميدي نفسه غنى بصوته فى
نهاية الفيلم . وكانت الأغنية فيها أشعار غنائية من نظم شابلىن وهى خليط من الفرنسية
والإيطالية والأسبانية .

ولم يكن لهذه الأغنية معنى إلا بعد إدماج الأشعار الغنائية بالبانتوميم - وكان شابلىن
يقصد بذلك هجاء الأفلام الناطقة .

ويعتبر فيلم « العصر الحديث » واحداً من القنابل الأخيرة التى فجرها نبوغ شابلىن
الكوميدي وبراعته التمثيلية .. إننا نشاهده وهو يتصارع مع رجال الشرطة ويواجه
الشخصيات البارزة ورؤساءه ، ويقاوم هذا المتشرد الصغير بحركات قدميه المدهشة
ويتحلق بهيبة كوميدية رائعة ويتلاعب « بصينية » عليها كميات ضخمة من الأطعمة
وهو يمر بين المخمورين والراقصين ، ونرى هذا الرجل الطفل وهو يقع فى حياض
الحب ، وفى حين أن بعض النقاد يعتقدون بأن هذا الكوميدي انشغل بالقدح والدم ،
إلا أننى أعتقد أن هناك دفقاً كثيراً ومرحاً فى طريقة هزله .

ويكون شابلىن فى أحسن حالاته حينما يسخر من عامل فى مصنع ويتحول إلى قرد
مدرب ، ويكون أيضاً فى أحسن حالاته حينما يلم شعاع هيبته ويواجه السلطة بأقصى
قدر من الاعتزاز بالنفس ، وإلى جانب ذلك نرى الرقة الإنسانية المتناهية عند هذا
المتشرد الذى يتطلع إلى لفحة رحيمة فى عالم بارد أنانى .

وهناك فيلمان من أفلام شابلىن الصامتة التى ظهرت فى عصر الشاشة الناطقة

يستحقان بجدًا موجزًا ، فيلم « الدكاتور العظيم » الذى ظهر فى عام ١٩٤٠ وفيلم « مسيو فيردو » الذى أنتجه فى عام ١٩٤٧ قد أسها بنصيب وافر فى الفن الكوميدي ، وفيلمه الأول الذى ظهر فى عام ١٩٤٠ كله قذح وطعن فى حكم أدولف هتلر ، وهو يخفى اسم الدكاتور تحت اسم مستعار « هينكل » . ومع أن الفيلم لم يصل إلى مستوى القذح الذى حققه بير تولت بريخت فى فيلم « أرتور بوى » إلا أنه - أى فيلم الدكاتور العظيم - يعبر عن مواهب شابلن ، فهو يتقد نقدًا لاذعًا تصرفات الدكاتور وانتفاخ أوداجه وعنجهيته وتشنجاته وهو يخطب من على منصة الخطابة ، وثمة مشهد رائع يظهر فيه الدكاتور يقبل فى خريطة للعالم على شكل كرة ويلهوها ويقذفها بقدمه ككرة قدم ، ثم يرقص « هينكل » رقصة باليه مع هذه الكرة كرمز للعبث بالعالم كله .. وكانت شهوة السلطة والحكم موضع سخرية بدت فيها مهارات الكوميدي المادية ومواهبه . وإلى جانب ذلك يؤدى شابلن دورًا مزدوجًا كحلاق يهودى - وهذا الدور يمثل صورة معدلة للمتشرذ الصغير ، ويرى فى أحد مشاهد الفيلم وهو يخلق « لحية » رجل فى دكانه على إيقاع موسيقى براهمز . أما فيلم « مسيو فيردو » فقد أنتج حينما كان عدد قليل من الناس يتقبل القذح من هذا الطراز . على أنه منذ عام ١٩٤٧ ، كانت رسالة السينما فى رحلة ما بعد الحرب موضع اهتمام متزايد . وكان شابلن فى فيلمه هذا قد سبق زمانه . إن مضمون الفيلم كله قريب من القذح ، وبديهي أن ينتظر من المرء أن يتساءل عن قيم دولة تثير الحرب ، بخلاف القيم لقاتل نساء ، ورجل ملتج عصرى يجمع مالا لمساعدة عائلته . والواضح أن الغموض يكثف الفيلم ، وكان شابلن فى هذا الفيلم وراء أعماقه . ومع ذلك فإن هذا العمل السينائى عمل رائع إذا قيس بمهارة التمثيل عند هذا الكوميدي .

لم يكن هارولد لويد أو باستر كيتون النفوذ والتأثير على النقاد والجمهور كما كان لشابلن ، على أن نقاد ومقيمي السينما الكوميديية يدركون الآن أن مساهمة هذين الممثلين

الكوميديين في التمثيل الكوميدي ، كانت وافرة ، وقد استخدم كلاهما المادة القصصية بطريقة مرتبطة ارتباطاً مباشراً بنضال شاب صغير يحاول أن يحقق النجاح في تطور الشخصى كرجل وفي حبه وعمله - وهى موضوعات أمريكية شائعة ومألوفة ظهرت في القصة القصيرة التى كانت تنشرها المجلات فى العشرينيات من هذا القرن .

إننى لا أرى حاجة للاسترسال فى الحديث عن تطور هارولد لويد وباستركيتون فى أفلامها القصيرة ، حيث إن هذا التطور شديد الشبه بتطور شابن - على أنها احتاجا إلى وقت أطول لتحقيق الشهرة التى من شأنها أن تجعلها ينافسان شابن فى شهرته . ولقد تحقق لهما ذلك فى أوائل العشرينيات ، إذ أنهما أصبحا مشهورين عند الجماهير واستطاعا عندئذ أن يبدأ فى إنتاج الأفلام الروائية - وهذا عمل لم يكن يقدم عليه إلا كوميدي أصاب نجاحاً كبيراً فى « شباك التذاكر » وقد بدأ لويد إنتاج الأفلام الروائية فى عام ١٩٢٢ ، أما كيتون فقد تبعه بعام واحد .

كان أول فيلم روائى لهارولد لويد هو « صبي الجدة » ، وهو يوضح ميل الكوميدي واتجاهه إلى استخدام السمة الكوميديية فى تحسين نفسه .. وهو يصور فى هذه الحالة شابا صغيراً لديه مشاكل سيكولوجية - شخص ضعيف يخشى أن يستخدم حقوقه - ورجولته ومصيره . ولكنه يعالج من هذا الجبن بواسطة سحر مزور أعطته له جدته . وتقول له إن هذا السحر سيحميه من الخطر ويمده بالشجاعة ، وأخيراً يدرك أنه يتصرف حسب اندفاعه الشخصى وغيرته حينما يلقى القبض على قاتل . وعندئذ لم يعد يشعر بالجبن بعد أن تخلص من مخاوفه القديمة ، ثم يتزوج فتاة أحلامه .

وقد تم استخدام مواد من قصص مشهورة ناجحة فى فيلم « السلامة تبقى » الذى أنتج فى عام ١٩٢٣ ، وفيلم « الفتى الجامعى » فى عام ١٩٢٥ ، إننا نرى هارولد فى السباق المناخى لفيلم « السلامة تبقى » يضطر إلى اتخاذ مكان رجل جرىء لا بد له أن يتسلق حائطاً لمبنى عال . ويؤدى على المبنى خطته المثيرة التى أعدها ويواجه فى هذه

العملية عقبات يتخطاها بمنطقه غير العادى وحظه المدهش .. إن نوع الهزل المقرون بموقف خطر هو عمل وصفه لويد بأنه « الكوميديا المثيرة » . وقد استخدم أيضاً هذا النوع من المادة فى كثير من أفلامه . فى فيلم « الفتى الجامعى » يواجه الشاب المتعطش للعلم كما صوره لويد ، صعوبات فى تحقيق الشهرة لنفسه فى الكلية ويفكر فى أنه يستطيع أن يتم له ذلك بأن يكون لاعب كرة قدم ممتازاً . ونظراً لأنه كان قاصراً كلاعب كرة قدم ، فإنه كان الرجل الأخير الذى يشركه فى المباراة . وحينما يشركه المدرب فى اللعب ، إنما يفعل ذلك قبل نهاية المباراة ببضع دقائق ، وحتى فى هذا الوقت القصير فإنه يتصرف تصرفاً خاطئاً فى كل حركة من حركات فريقه . ولكن لا تلبث هذه التصرفات الخاطئة أن تصبح تصرفات صحيحة لأنها تترك الفريق الآخر . وكما يحدث فى معظم أفلام كرة القدم الكوميديية ، يصبح المنبوذ هو البطل .

إن المفتاح لفهم السمة الكوميديية التى ابتدعها لويد تكمن فى حماس البطل ، فحماسه يعطى هذه السمة الكوميديية خاصتها المميزة ، وثمة ممثلون كوميديون بارزون ظهروا فى العشرينيات - شابلن وكيتون ولانجدون - نادراً ما كانوا يستخدمون هذا الأسلوب فى شخصياتهم الكوميديية ، أما لويد فإنه يستخدم هذا الأسلوب كأساس لشخصيته ، ونرى أن بعض أفضل اللحظات الكوميديية فى أفلامه تجيء حينما يودى حماس هارولد به إلى مواقف تنتهى إلى نتائج عكسية ، فى فيلم « السلامة تبقى » ، يضطر هارولد إلى أن يعيش متمصصاً شخصيتين ، أولاً الرجل الذى يحاول إقناع فئاته بأنه إنسان ناجح ، وثانياً ، المحافظة على مركزه ككاتب بسيط فى مستودع . إن رغبته فى أن يجعل حماساً مصطنعاً أمراً ناجحاً يضطره إلى القيام بدور رجل متحمس يتسلى عمارة من العمارات .. أما فى فيلم « الفتى الجامعى » فإن شوقه إلى أن يكون مقبولاً اجتماعياً يجعل منه مجنوناً فى أعين الناس الذين يحاول أن يثير إعجابهم به ، ويصبح شخصية مضحكة لأنه يحاول القيام بأعمال ليس هو أهلاً للاضطلاع بها ، فنراه يحاول أن يلتق

خطاباً أمام الطلاب في الكلية ثم نراه يكافح في مباراة كرة القدم ، وفي فيلمه « صبي الجدة » ، يفشل حماسه في إظهار الشجاعة وهو يطارد رجلاً متشرداً ، على أننا في كلتا الحالتين نرى أن الخطأ الذى يثير الضحك هو الفضيلة التى تحقق النصر .

ويجب أن نعود فنقول إن هذا النصر لا يتحقق بضربة من ضربات الحظ .

إن النقاد الأوروبيين الآن يرون كوميديا لويد بوجهة نظر أوضح مما نراها نحن في الولايات المتحدة .. إننا مازلنا متمسكين بفكرة القصة الناجحة في الحياة الحقيقية حتى إنه يصعب علينا أحياناً أن نرى هذا النمط من الإنجاز . إننا أحياناً نوجه هذا الموقف نحو النجاح في أعماق عقولنا ، ونجد أن الضغط الذى نتعرض له كبير جداً بحيث نشعر أن الأمر لم يعد هزلاً أو كوميدياً . إن الأوروبيين يرون قدرًا أكبر من طبيعتنا الأساسية في شخصية هارولد لويد الكوميدية لأن لديهم الموضوعية لمراقبة مزاجنا من على بعد .

وتعتبر أفلام باستر كيتون ، شرلوك الصغير والملاح والجزرال ، باروديا - أى محاكاة - من النجاح في الحب والعمل . إن فيلم شرلوك الصغير يظهر البطل كعامل وحيد لآلة عرض للصور المتحركة الذى يتولى أيضا كنس المسرح ويحلم فى أن يكون مخبراً سرياً عظيماً قادراً على حل أعقد الجرائم ، ويدور الفيلم كله تقريباً حول حلمه فى أن يمارس هذا العمل الذى يحلم به . أما فيلم « الملاح » ، فهو أكثر غموضاً لأنه يظهر فى شخصيته رجل غنى فى مستقبل العمر ، ولكنه يحاول أن ينجح فى الحب ، ومحاولته تستهدف لفت نظر فتاة ليحظى بإعجابها فى نفس الوقت الذى يناضل من أجل الحياة على ظهر سفينة ركاب ضخمة من عبارات المحيطات جنحت عن مرساها . أما فيلم « الجزرال » ، فإنه يبدى تصميمه على أن يكون جندياً فى الحرب الأهلية ، ولأنه استخدم كمهندس قطارات ، فإنه يجد من الصعوبة بمكان أن يعنى من عمله لتحقيق هدفه ، وأخيراً يصبح جندياً ، ويستطيع رجل كينون الصغير أن يحقق النجاح بضربة

حظ وبطريقته غير العادية لحل مشاكله ، وهو في ذلك يحاكي شخصية لويد الكوميدي ..

إن كل أفلام كيتون تستخدم حوادث المطاردة والقتال ، مع انبثاق سلسلة من الأحداث المثيرة المضحكة من كل موقف من المواقف التي يصادفها ، وهو مثل شابن ولويد ، قد برع في تطوير حوادث رتيبة مثيرة للضحك .

إنني أعتقد بأن شخصية كيتون الكوميدي يمكن تمييزها عن غيره من الكوميديين بعلاقاته بالنساء . إن شخصية كيتون الكوميدي تحتاج ، على ما يبدو ، فتاة لأن ذلك هو الشيء الذي ينبغي عمله . وفي فيلم « الجنرال » نرى جوفى الذى يضطلع كيتون بتمثيل دوره ، يقابل فتاته وكأنها شقيقة غير مرغوب فيها اللهم سوى في صحبته كرفيقة سفر . وهو أساساً يصور رجلاً صغيراً في صراع مع عواطفه المخدرة ، فهو لا يتجاوب كما يفعل الرجل العادى ، وهذا الانحراف عن التجاوب يؤدي إلى خلق كوميديا ..

إن كثيراً من النقاد معجبون بالدور الفريد الذى يلعبه هذا الكوميدي ولكنهم لا يرون حدود هذه الشخصية ، فهذه الشخصية تثير الضحك أكثر ما يكون عند حدوث طوفان وحينما يتولى جيش مهمة المطاردة ، وفي غمرة الفوضى والاضطراب نرى وجهه المخدر لا تحتلج فيها عضلة واحدة وأن جسمه ينحني بزواية قدرها ٤٥ درجة في خضم هذه الأحداث . إذن : إن عدم تجاوب هذه الشخصية وتفاعلها مع الأحداث ، هو سر شخصية المهرج التي يمتاز بها كيتون .

إن تقييد هذا التجاوب والتفاعل لا يسمح بالأبعاد التي تمتاز بها شخصيتا لويد وشابن . وقد يتعاطف جمهور المشاهدين مع محنة هذين المهرجين بسبب تفاعلها الطبيعي ، ولكن كيتون لا يستطيع أن يجعل الجمهور يفعل مع مصير الرجل المغفل الذى يقوم به ، ولا ريب في أن مشاركة الجمهور وانفعاله أمر ضرورى في بناء قصة

دراماتيكية .. وهذه مشكلة من مشاكل خلق الكوميديا التي كان هارى لانجدون يتمتع بها .

إن عدداً قليلاً من الناس هم الذين مازالوا يتذكرون هارى لانجدون كواحد من الكوميديين العظام الذين ظهروا في أواخر العشرينيات ، ولكنه في الحقيقة نافس شابليز ولويد وكيون في الشهرة خلال الثلاث السنوات التي أنتج فيها أروع أفلامه - من عام ١٩٢٥ إلى عام ١٩٢٧ . وكان يعتمد على تمثيل دور « ولد صغير تائه » حيث يمثل أقصى حد من السذاجة عند شاب دون أن يجعل منه شخصاً معتوهاً ضعيف العقل ، إن صورة « الطفل الرجل » قد جعلته يختلف عن كبار الكوميديين الآخرين .

وكان أقرب إلى الصورة الكوميدي للممثل الكوميدي ستان لوريل ، والذي كان مع هاردي يمثلان الزوجي الشهير .

وفي حين أنني أجد معظم أفلام لانجدون الروائية وكثيراً من أفلامه القصيرة مضحكة ، إلا أن هوائية صورته الهزلية لم تصادف قبولاً واسع النطاق ، إن غالبية جماهير النظارة والنقاد الذين كان لهم حظ مشاهدة بعض أفلامه يدركون رزانة تمثيله ويعترفون بسحر تمثيله الكوميدي ، على أن سذاجة شخصيته الهزلية تقيد انطلاقه . لم يكن لانجدون يستطيع القيام بالألوان المختلفة من التمثيل الهزلي التي كان يقوم بها شابليز ولويد بسبب تعدد شخصياتها المعقدة .

ومن ثم فإن أخطاء اختيار لانجدون لشخصيته الهزلية تضعه على مستوى أقل من شابليز ولويد . وكان من النادر أن يتخذ هارى أى إجراء ضد بحر المتاعب الذي كان يصادفه . لقد كان لشخصيتي شابليز ولويد جانباً عدوانياً ، وهكذا ، فإنها كانا يشتركان في صراعات حادة وقوية . وكانت هناك لحظات من العنف حيث كان تمثيلها يشمل ضرب خصومها وعضهم ، وكثيراً ما يكون هذا الخصم ثوراً في ضعف

حجمها . وكان عملها مطعماً بمشبهيات الهزل الهجائي التي سهلت التنوع وساعدت على دفع سياق القصة وتحريكه نحو الصراع السريع الحركة ، وكانت قوة لالنجدون تكمن في ألوان ألباتوميم ، ولكن شابلن كان يؤدي مثل هذه الألوان الهزلية بطريقة أكثر فعالية ..

وإنني أعتقد أن لالنجدون يكون في أحسن حالاته حيناً تلاحقه وتطارده امرأة ذات نزعة عدوانية . ونحن نستطيع أن نلاحظ في فيلمه « الرجل القوي » الذي ظهر في عام ١٩٢٦ وفيلمه « السراويل الطويلة » الذي أنتجه في عام ١٩٢٧ سياق الحالات حيث يكافح هذا الرجل الصغير من أجل « عذريته » .

لقد كان الجنس أحجية كبيرة من أحاجي شخصيته الهزلية ، وكان تصويره للحب بين الرجل والمرأة مثل تصور الطفل - أي أنه كان يتوق إلى المرأة ولكنه كان يريد لها ، على ما يبدو ، كمجرد صديقة .

لقد ترك هؤلاء الكوميديون الأربعة العظام - شابلن ولويد وكيوتون والالنجدون - تقليدًا هزليًا مستمر ، إلى حد ما ، حتى عصر الشاشة الناطقة . ولعل لوريل وهاردي أكثر الكوميديين موهبة لإدماج الفن الذي تطور في العشرينيات بالسينما الناطقة . وبالإضافة إلى ذلك أظهر «جوا. براون» قدرة على ذلك التقليد . ولقد استخدم في أفلامه مادة القصة الناجحة التي أوجدها لويد وكيوتون . وكان عنوان أحد أفلام براون « الصبي المحلى يصيب نجاحًا » . ولقد استمر هذا التراث في الأربعينيات والخمسينيات ونهج نهجه كوميديون مثل رد سكيلتون وداني كاي وجيرى لوى . ولو كان لدينا فسحة كافية من الوقت ، لسقنا هنا بعض الأمثلة عن اختيار الشخصيات الهزلية وسياق القصة التي لها علاقة مباشرة بالمهنة القديمة . ونظرًا لأن مستوى معظم هذا العمل أقل من مستوى عمل الكوميديين الأربعة العظام ، فإنه لن يكون من المجدي إيراد بعض الأمثلة .

إننى لا أعنى بذلك أنه لا يمكن لعصر آخر من عصور السينما الكوميدية أن يبرى
عصر السينما الناطقة ، إننا مقيدون بمدى منظورنا لأننا لم نلق نظرة فاحصة على الصفات
التي تتمتع بها أفلام و. س. فيلدز وأعمال إخوان ماركس وأفلام لوريل وهاردى . لقد
كانت الكوميديا الصامتة فى أسلوبها المركز والمبسط والمختار بمثابة شكل نقي من الدراما
الهزلية التي لها سحرها الخاص تماماً كما كان لشكل المسرح القديم .
على أن ثمة شيئاً آخر أريد أن أقوله وهو أن أعمال شابلن ولويد وكيون ولانجدون
ستعيش طويلاً جداً . فقد قدم لنا هؤلاء الكوميديون العظام روائع لن ننسى شغلها
وستظل تؤثر على الأفلام الكوميدية التي لم تنتج بعد .